الفصل الرابع
آراء العلماء فى التطور والخلق

يزعم دعاة التطور: أنّ نظرية التطور المادى قد لاقت التأييد المطلق من كافة العلماء والمفكرين، وأنّ إجماع العلماء والمفكرين قد انعقد على التأييد الكامل للنظرية، وبالتالى نفياً قاطعاً لحقيقة الخلق من العدم، فَرَدّاً على زعمهم هذا، رأينا أن نستعرض فى هذا الفصل بعضاً من آراء عدد من كبار ومشاهير العلماء فى كافة ميادين العِلم، وكلها تشير إلى توجه صحيح، وإلى عمق واستنارة فى التفكير لدى كمٍ هائل من مشاهير العلماء، خلافاً لما يدعيه أدعياء العِلم من دعاة التطور المادي.

ونحن إذ نقوم بذلك، فلا يعنى ذلك بالضرورة ايماناً منا بكل أقوالهم، ولا يعنى عجزاً منا عن نقض تلك النظرية إلا بأقوالهم، إنما كان ذلك للتدليل على كذب من يتقول بإجماع العلماء على نظريتهم، وللهمس بأذن كل من يستهويه الأخذ بفارغ القول من الغرب الكافر تقليداً ومحاكاة وانبهاراً، أنّ ما يأخذونه من الغرب الصليبى الكافر - والشرق الوثنى الملحد - من نظريات مادية، قد نبذها من استعمل عقله منهم، وتوخى الحقيقة بتجرد، ونقضها وكفر بها حتى بعض من آمن بها سابقاً وكان من غلاة دعاتها، **واستذكر بالمناسبة قول الشاعر:**

خَلى من المعنى ولكن يفرقع وما هى إلا كفارغ دقِ

يقول الفيلسوف والفيزيائى والرياضى الفرنسي، مكتشف الهندسة التحليلية "ديكارت *Rene Descartes*" (*1596 - 1650*):

(إنّى مع شعورى بنقص فى ذاتي، أحسّ فى الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، وأرانى مضطراً إلى الإعتقاد بأنّ هذا الشعور قد غَرَسَته فى ذاتى

الذّات الكاملة المتحلية بجميع الصفات الكاملة، وهو: الله)[1]

أمّا المؤرخ والفيلسوف الفرنسى "أرنست رينان" (*1823 - 1892*) فقد عانى أزمة إيمان أدّت إلى الارتداد عن الكاثوليكية. وتميزت بحوثه بالنزعة العقلانية وبالايمان بالعِلم، فيقول فى كتابه "تاريخ الأديان":

(إنَّهُ من الممكن أن يضمحلّ كلّ شيء نحبه، وأن تبطل حرية إستعمال العقل والعِلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحى التّدين، بل سيبقى حُجَةً ناطقةً على بطلان المذهب المادي، الذى يُريد أن يحصر الفكر الإنسانى فى المضائق الدنيئة فى الحياة الأرضية)[2]

أما عالِم الطبيعة المشهور، الفيزيائى الأمريكي، الألمانى المولد، "اسحق آينشتاين *Albert Einstein*" (*1879 - 1955*) الذى يعتبر أعظم عباقرة العِلم المعاصرين، منح جائزة نوبل فى الفيزياء عام (*1921*)، وواضع نظرية النسبية، فيقول:

(إنَّ دينى يشتمل على الإعجاب المتواضع بتلك الروح العليا غير المحددة، والتى تكشف فى سرها عن بعض التفصيلات القليلة التى تستطيع عقولنا المتواضعة إدراكها، وهذا الإيمان القلبى العميق، والاعتقاد بوجود قوّة عليا تستطيع إدراكها خلال ذلك الكون العامض يلهمنى فكرتى عن الإله)[3] كما يُنْسَب لنفس هذا العالِم قوله: (لا تشكوا فى الخالق فإنه مما لا يُعْقَل أن تكون المصادفات وحدها هى قاعدة الوجود)[4]

(*1*) د. يوسف القرضاوي، العبادة فى الإسلام، صفحة (16).
(*2*) المصدر السابق، نقلاً عن: أرنست رينان، تاريخ الأديان.
(*3*) من كتاب " العالم وأينشتاين " تأليف " لنكولن بارنت، ترجمة محمد عاطف البرقوقي، صفحة (116).
(*4*) القرضاوي، العبادة فى الإسلام، صفحة (17)

إنه من الملاحظ أنه كلما إزداد عِلم الإنسان واطلاعه على عجائب الكون، ومعرفته بما فيها من جمال وإحكام، ولم يقف عند القشور، بل تعمق فى دراسة أسرار وقوانين وسنن الخلق، ازداد إيماناً بوجود الخالق وحكمته وعظمته وكمال صفاته، وفى هذا ينقل لنا "سبنسر" عن "هيرشل" قوله: (كلما اتسع نطاق العِلم ازدادت البراهين الدامغة القوية على وجود خالق أزلى لا حَدّ لقوته ولا نهاية: فالجيولوجيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا على تشييد صرح العِلم، وهو صرح عظمة الله وحده)[1] وقد مرّ معنا آنفاً[2] استنتاجات "سبنسر" نفسه للوصول إلى الإيمان بالله الخالق عن طريق ملاحظة قطرة الماء وقطعة البرد.

ويؤكد ما ذهبنا إليه بأنه كلما تعمق الإنسان فى التفكير وازدياد العِلم، ازداد قرباً من الاهتداء إلى حقيقة الخلق وحتمية حقيقة وجود خالق خلق الموجودات من عدم، وذلك ما يؤكده الفيلسوف "فرنسيس بيكون": (إنّ القليل من الفلسفة يميل بعقل الإنسان إلى الإلحاد، ولكن التّعمق فيها ينتهى بالعقول إلى الايمان، ذلك لأنّ عقل الإنسان قد يقف عندما يصادفه من أسباب ثانوية مبعثرة، فلا يتابع السّير إلى ما ورائها، ولكنه إذا أمعن النّظر، فشهد سلسلة الأسباب كيف تتصل حلقاتها لا يجد بدّاً من التسليم بالله)[3]

---

(1) العبادة فى الإسلام، صفحة (17). * سبَنْسَر، هربرت *Herbert Spenser* (1820 - 1903) فيلسوف إنجليزي، يعتبر أحد أبرز القائلين ب "الداروينية الاجتماعية"، آمن قبل داروين بتطور الأنواع من أشكال بسيطة إلى أشكال معقّدة. أشهر آثره كتاب " الفلسفة التركيبية. * هيرشل، السير وليم Sir William Hershel (1738 - 1822)، عالم فلك إنجليزي، اكتشف الكوكب السّيار "أورانوس" عام (1781)، وفى عام (1783) اكتشف قمرين من أقمار أورانوس وقمرين من أقمار زُحل. - ويرجع إليه فضل اكتشاف أكثر من 2500 عنقود نجمى وسديم وما يزيد عن ثمانمائة نجم مزدوج.

(2) الفصل الثالث من هذا الباب، صفحة (182).

(3) العبادة فى الإسلام، صفحة (17).

أمّـا الـدكتور "ميريـت سـتانلى كونجـدن *Stanley*" عضـو الجمعيـة الأمريكيـة الطبيعيـة، وأخصـائى فـى الفيزيـاء وعلـم النفس وفلسفة العلوم، فيقول:

(إنّ جميع ما فى الكون يشهد على وجود الله سبحانه وتعالى، ويدلّ على قدرتـه وعظمتـه، وعنـدما نقـوم نحـن العلمـاء بتحليـل ظـواهر هـذا الكـون ودراسـتها، حتـى باسـتخدام الطريقـة الإسـتدلالية، فإننـا لا نفعـل أكثـر مـن ملاحظة آثار أيادى الله وعظمته، ذلك هو الله الذى لا نستطيع أن نصـل إليـه بالوسائل العلمية المادية وحدها، ولكننـا نـرى آياتـه فـى أنفسنا وفـى كلّ ذرة من ذرات هذا الوجود، وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته)[1]

إنّ التفكر فى الموجودات الكونيّة، لأهم الشواهد التى توصل ولا بدّ إلى الايمـان بـالله تعـالى خالقـاً وحيداً لهذا الكون، ولتثبيت ايمـان المؤمن، وهذا النهج هو الذى أوصل الدكتور ستانلى إلى ايمان الواثق المطمئن، الذى فَكَرَ وفكر فوصل للقناعة الثابتـة التـى لا تتزعزع، كمـا ورد فيمـا نقلنـاه عنـه فـى الفقرة السـابقة، وعلـى نفس النّهج سـار "أ. كريسـى موريسـون *A. Cressy Morrison*" الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، **حيث يقول:**

(إنّ استعراض عجائب الطبيعة ليدل دلالة قاطعة على أنّ هناك تصميماً وقصداً فى كل شيء، وأنّ ثمّـة برنامجـاً ينفذ بحـذافيره طبقـاً لمشيئة الخـالق عزّ وجل... إنّ حجم الكرة ألأرضية وبعدها عن الشّمس، ودرجَـة حـرارة الشّمس وأشعتها الباعثة للحياة، وسُمْك قشرة الأرض وكميّـة المـاء، ومقدار ثانـى أوكسيد الكربون وحجم النيتروجين، وظهور الإنسان وبقاؤه علـى قيد الحيـاة، كلّ أولاء تـدلّ علـى خـروج النظـام مـن الفوضـى، وعلـى التّصـميم

(*1*) الله يتجلى فى عصر العلم، صفحة (20).

والقصد)[1]

كتبَ الكاتب والمفكر الفرنسى "مومنيه *Momnieh*" بحثاً فى مجلة "الكوسموس" جاء فيه: (إذا افترضنا بطريقة تعلو عن متناول العقل، أنّ الكون خُلِقَ اتفاقاً بلا فاعل مريد مختار وأنّ الاتفاقات المتكررة توصلت إلى تكوين رجُل، فهل يعقل أنّ الاتفاقات والمصادفات تُكَوِن كائناً آخر مماثلاً له تماماً فى الشّكل الظاهري، ومبايناً له فى التركيب الداخلى - وهو المرأة - بقصد عمارة الأرض بالناس وإدامة النّسل فيها؟ ألا يَدُلُ هذا وحده على أنّ فى الوجود خالقاُ مريداً مختاراً، أبدع الكائنات ونَوّع بينها، وغَرَزَ فى كلّ نوع غَرائز، وَمّتّعَه بمواهب يقوّم بها أمْرَه ويرتقى عليها نوعه)[2]

وما دمنا نتحدث عن التّناسُل لبقاء النوعين الإنسانى والحيواني، والغرائز التى تثور متطلبة الإشباع، ليتم التزاوج والتلاقح الموصل إلى التناسل، فإلى بحث "التزاوج والتناسل" نرجع مرّة أخرى إلى "أ. كريسى موريسون" حيث يتناول الموضوع قائلاً:

(إنّ الحياة تُرغم على التّناسل لكى يبقى النّوع، وهذا دافعٌ بلغ من القوة أنّ كل مخلوق يبذل أكثر تضحية فى سبيل هذا الغرض... وهذه القوّة الإلزامية لا توجد حيث توجد الحياة، فمن أين تنشأ هذه الدوافع[3] القاهرة؟ ولماذا بعد أن نشأت تستمر ملايين السنين؟ إنّه قانون الطبيعة الحيّة... الذى يأتى من إرادة الخالق)[4]

تحت عنوان "الأدلة الطبيعية على وجود الله" كتب أستاذ الطبيعة الحيوية، الحاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا، ومدير قسم

---

(1) الإنسان لا يقوم وحده، الطبعة العربية، الصفحات (186 - 193).
(2) محمد فريد وجدي، دائرة المعارف العربية، مادة: إله.
(3) المقصود بالدوافع: الغرائز.
(4) الإنسان لا يقوم وحده، صفحة (146).

النظـائر والطاقـة الذريـة فـى معامـل "أوك ريـدج"، عضـو جمعيـة الأبحاث النووية والطبيعة النووية، "بول كلارنس ايرسولد":

(قال الفيلسوف الإنجليزى "فرانسس بيكون" من ثلاثة قرون: "إنّ قليلاً من الفلسفة يقرب الإنسان من الإلحاد، أما التعمق فى الفلسفة فيرده إلى الدين، ".... ولا شَكّ أنّ إتجاه الإنسان وتطلعه إلى البحث عن عقل أكبر من عقله وتدبير أحكم من تدبيره وأوسع، لكى يستعين به على تفسير هذا الكون، يُعَدّ فى ذاته دليلاً على وجود قوة أكبر وتدبير أعظم، هى قوّة الله وتدبيره. **وقد** لا يستطيع الإنسان أن يُسَلم بوجود الخالق تسليماً تاماً على أساس الأدلّة العِلمية وحدها، ولكننا نصل إلى الإيمان الكامل بالله عندما نمذج بين الأدلّة العلمية والأدلّة الروحيّة، أى عندما ندمج معلوماتنا عن هذا الكون المُتّسِع إلى أقصى حدود الاتساع المعقّد إلى أقصى حدود التّعقيد، مع إحساسنا الداخلى والاستجابة إلى نداء العاطفة والروح الذى ينبعث من أعماق نفوسنا، ولو ذهبنا نحصى الأسباب والدوافع الدّاخليّة التى تدعو ملايين الأذكياء من البشر إلى الايمان بالله، لوجدناها متنوعة لا يحصيها حصر ولا عد، ولكنها قوية فى دلالتها على وجوده تعالى، مؤدية إلى الإيمان به..... إنّ الأمر الذى نستطيع أن نثق به كلّ الثقة، هو أنّ الإنسان وهذا الوجود من حوله لم ينشأ هكذا نشأة ذاتيّة من العدم المطلق، بل إنّ لهما بداية، ولا بُدّ لكل بداية من مُبْدئ، كما أننا نعرف أنّ هذا النظام الرائع المُعَقد الذى يسود هذا الكون يخضع لقوانين لم يخلقها الإنسان، وأنّ معجزة الحياة فى حد ذاتها لها بداية، كما أنّ ورائها توجيهاً وتدبيراً خارج دائرة الإنسان، إنها بداية مُقَدَسة وتوجيه مُقّدّس وتدبير إلهى مُحْكم.)[1]

(*1*) الله يتجلى فى عصر العلم، الصفحات (35 - 38).

أمّا أشهر من وضع نظريات علم الميكروبات، وكشف دور الجراثيم فى الإصابة بالأمراض، كان الكيميائى البيولوجى الفرنسى "لويس باستور*Louis Pastor*"[1] فيقول:

(الإيمان لا يمنع أى ارتقاء كان، لأنّ كلّ ترقٍ يبين ويسجل الاتساق البادى فى مخلوقات الله، ولوكنت علمت أكثر مما أعلَم اليوم لكان إيمانى بالله أشَد وأعمق مما هو عليه الآن... إنّ العِلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً، ولكنه على خلاف ذلك يؤدى إلى زيادة العِلم بالله لأنه يَدُلُ بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصُر، وكمال عقل الحكمة التى خلقت النّواميس المدبرة للوجود كما لا حد لـه).

كتب الكيميائى وعضو أكاديمية العلوم، وعميد كليّة الطب الفرنسية، "الدكتور ويتز *Witts*" **يقول**: (إذا أحسست فى حين أنّ عقيدتى بالله قد تزعزعت وجَهْتٌ وجهى إلى أكاديمية العلوم.)

أما الجيولوجى الذائع الصيت، والمدرس بجامعة السوربون "أدموند هيربرت" فيقول:

(العِلم لا يمكن أن يؤدى إلى الكفر ولا إلى الماديّة، ولا يفضى إلى التشكيك.)

كانت تلك الاستشهادات هى آراء بعض أقطاب العِلم الطبيعي، تم اختيارهم من جم كثير مما ذكره "ليون ووتي" الذى نشر بحثاً تحليلياً للدكتور الألمانى "دينرت" لأكابر ومشاهير العلماء فتبيّنَ لـه من دراسة

(*1*) باستور، لويس (1822 - 1895): كيميائى بيولوجى فرنسي، أثبت أنّ الخمائر خلايا حيّة، وكشف دور الجراثيم فى الإصابة بمختلف الأمراض، عقّم اللبن تعقيماً جزئياً بحرارة تقتل المتعضيات الضّارة من غير أن تُحدث فى المادة المعقمة تغييراً كيميائياً جوهرياً وهو ما يدعى اليوم " البسترة "، استنبط طريقة للوقاية من بعض الأمراض بالتلقيح.

290 عقل عالِم شهير ما يلي: "28 منهم لم يصلوا إلى عقيدة ما، 242 أعلنوا على رؤوس الأشهاد الإيمان بالله الخالق، 20 فقط تبين أنهم غير مبالين بالوجهة الدينية ولا ملاحدة، فإذا اعتبرنا الغير مبالين من الملاحدة أيضاً، كانت نسبة المؤمنين منهم 92 %)[1]

وجّه أحد رجال الأعمال سؤالاً إلى العالِم الفسيولوجى "أندرو كونواى إيفي"[2]:

سمعت أنّ معظم المشتغلين بالعلوم ملحدين. فهل هذا صحيح؟ فأجابه: (إننى لا أعتقد أنّ هذا القول صحيح، بل إننى على نقيض ذلك وجدت فى قراءتى ومناقشاتى أنّ معظم من اشتغلوا فى ميدان العِلم من العباقرة لم يكونوا ملحدين..... إنّ الإلحاد، أوالإلحاد المادي، يتعارَضَ مع الطريقة التى يتبعها رجل العلوم فى تفكيره وعمله وحياته، فهو يتبع المبدأ الذى يقول بأنه لا يمكن أن تكون آلة بغير صانع، وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة، ويدخُل إلى معمله يحدوه الأملَ ويمتلئ قلبه بالإيمان، ومعظم رجال العلوم يقومون بأعمالهم حُبّاً فى المعرفة وفى الناس وفى الله.... وكما قال "ماكس بلانك" العالم الطبيعى الذى فتح الطريق إلى أسرار الذرة: "إنّ الدين والعلوم الطبيعية يقاتلان معاً فى معركة مشتركة ضدّ الشّك والجحود والخرافة، ولقد كانت الصيحة الجامحة فى هذه الحرب وسوف تكون دائماً: الله")[3]

---

(1) النصوص الأربعة السابقة، ترجمها محمد فريد وجدي، ونشرها فى مجلة " الأزهر ".

(2) أندرو كونواى إيفي: من العلماء الطبيعيين ذوى الشهرة العالمية، من سنة 1925 إلى سنة 1946. رئيس قسم الدراسات الفسيولوجية والصيدلية بجامعة نورث وسترن، من سنة 1946 إلى سنة 1953. أستاذ فى كلية الطب ووكيل الكلية فى جامعة الينوى حتى سنة 1958، أستاذ الفسيولوجى ورئيس قسم العلوم الأكلينية بكلية الطب بجامعة شيكاغو.

(3) الله يتجلى فى عصر العلم، الصفحات (150 - 162).

وننقل عن "لورد كليفي" - وهو من علماء الطبيعة البارزبن فى العالَم - قوله: (إذا فكرتَ تَفكيراً عَميقاً فإنّ العلوم سوفَ تضطرك إلى الإعتقاد فى وجود الله)[1]

ومرّة أخرى وكما ورد فى كتاب "العالم وأينشتاين" تصريح العالِم الشهير "اينشتاين" صاحب النظرية النسبية: (إنّ الإيمان هو أقوى وأنبل نتائج البحوث العلمية).

إنّ العلوم تدعم الإيمان بالله تعالى، هذا ما يؤكده الدكتور "ألبرت ماكوب ونشتر" المتخصص فى علم الأحياء، والإخصائى فى علم الوراثة وفى تأثير ألأشعة السينية على الدوسوفيلا، بعد أن حاولت عمته أن يعدل عن قراره دراسة العلوم، خوف أن يقضى ذلك على ايمانه بالله:

(واننى لأشعر بالغبطة تملأ قلبى اليوم، بعد أن درست العلوم المختلفة، واشتغلت بها سنوات عديدة، ولم يكن فى ذلك ما يزعزع لإيمانى بالله، بل إن اشتغالى بالعلوم قد دعم إيمانى بالله حتى صار أشد قوة وأمتن أساساً مما كان علية من قبل، ليس من شَكٍ أنّ العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديداً فى دائرة بحثه ودراسته زاد إيمانه بالله)[2]

نعم... إنّ الآيات والدلائل التى يجدها العالِم فى مختبره، والباحث فى مشاهداته، كلّ تلك الدلائل والمشاهدات إن أعمل العقل فى التفكر بها بنزاهة وتجرد، ورغبة فى الوصول إلى الحقيقة، فستوصل حتماً وبدون شَك إلى النتيجة الحتمية القاطعة، وهى الإيمان بالله تعالى خالقاً لهذا الكون بموجوداته ومدبراً له، وستوصل بالتالى إلى الإيمان القاطع بعقم وتفاهة

---

(1) المصدر السابق، صفحة (23).
(2) الله يتجلى فى عصر العلم، الصفحات (104 - 105).

جميع النظريات المادية والإلحادية ونبذها.

وفى مجال تصنيف الكائنات الحية، توصل العالم الإنجليزى "جون رى *J. Ray*" فى القرن السابع عشر، لإيجاد نظام تصنيفى حين عرّفَ النّوع "*Species*" بأنه المجموعة من الأفراد المتشابهة التى تنحدر من آباء تشبهها. وقال: "النّوع لا ينتج من نوع آخر" كما افترض "ري" أنّ عدد ألأنواع فى الطبيعة ثابت ومحدود. (1)

أما العالِم السويدى "كارل لينيوس *C. Linnaes*" (*1707 - 1778*) فقد توصل إلى الأسلوب التقليدى فى التصنيف والذى ما زال قائماً حتى يومنا هذا، ويستند هذا النظام على أوجه الشبه فى تركيب أجسام الكائنات الحية التى تنتمى إلى نفس المجموعة فى التصنيف، مرتكزاً فى نظامه على تعريف "ري" للنوع، وعلى اعتقاده أنّ كل نوع ثابت لا يعتريه تغيير، وبذلك فإنّ عدد الأنواع محدود. (2)

لقد كانت تلك الآراء التى سقناها فى هذا الفصل، هى آراء لمشاهير العِلم فى معظم تخصصاته، وهى جميعها - وكثير غيرها، لايتسع المجال لذكرها - تُكَذِبُ إدعاء من قال بإجماع العلماء على صحة نظريات التطور المادي، بل تَدُلّ على توجه نَيِرٍ نحو الإيمان بالله تعالى، تدعمه الأدلة والبراهين القاطعة.

أما من تلبسوا بثياب العلماء من دعاة التطور المادي، فإنَه ينقصهم الوعى والفكر المستنير والنّزاهة والتجرد، وإلا لكان مصير نظرياتهم التلاشي، فلو أعملوا عقولهم فى المخلوقات وقوانين الوجود، وفى أنفسهم، لآمنوا كما آمن من كان قبلهم، وكما آمن من أتى بعدهم.

---

(1) د. عدنان بدران وآخرين، البيولوجيا، صفحة (104).
(2) المصدر السابق.

النوع لا ينتج من نوع آخر